بناء علم اللاهوت الكتابي

الدرس 1: ما هو علم اللاهوت الكتابي؟

عندما نلتقي أشخاصاً لأول مرة، غالباً ما يكون لدينا ما نسميه "بالانطباع الأول"، أي الآراء التي نكوّنها عن الآخرين عندما نتعرف عليهم لأول مرة. لكن، مع نمو العلاقة، نتعلم أكثر عن أصدقائنا من خلال سؤالهم عن حياتهم، وتاريخهم الشخصي. وبينما نتعلم أكثر عن أحداث مهمة شكلّت حياتهم، نكتسب العديد من البصائر التي تتعدى انطباعنا الأول.

في الواقع، ينطبق الشيء ذاته على اللاهوت المسيحي بعدة طرق. وكأتباعٍ للمسيح، غالباً ما نبدأ بتشكيل معتقداتنا بشكل رئيسي من انطباعاتنا الأولى للعهد الجديد. لكن يمكننا تعميق إدراكنا لما نؤمن به كمسيحيين، بتعلُّم تاريخ إيماننا، كيف تطور من أول صفحات سفر التكوين، إلى آخر فصول سفر الرؤيا.

هذا هو **الدرس الأول،** في سلسلتنا " **بناء علم اللاهوت الكتابي**". وسنكتشف في هذه السلسلة فرع الدراسة المعروف بعلم علم اللاهوت الكتابي، وهو فرع اللاهوت الذي يستكشف كيف نما إيماننا على مدى تاريخ الكتاب المقدس. وقد دعونا هذا الدرس بعنوان، "**ما هو علم اللاهوت الكتابي؟**". وسنستعرض في هذا الدرس التمهيدي، عدداً من المسائل التأسيسية التي سترشدنا في هذه السلسلة.

سيركز درسنا على ثلاثة مواضيع أساسية: أولاً، سنكتسب **توجّهاً** أساسياً نحو علم اللاهوت الكتابي. ما الذي نعنيه بهذا المصطلح؟ ثانياً، سوف ننظر في **تطور** علم اللاهوت الكتابي. ما هي الاتجاهات التي اتخذها فرع الدراسة هذا عبر القرون؟ وثالثاً، سنستعرض التواصلات بين **التاريخ والإعلان**، وهي أحد أهم اهتمامات علم اللاهوت الكتابي. فلنبدأ **بتوجهٍ** أساسي نحو موضوعنا.

استخدم اللاهوتيون عبارة "**علم اللاهوت الكتابي**" بطرق متنوعة. وسيساعدنا أن نفكر بهذه الاستخدامات **بمعانيها الواسعة والضيقة**. يعني المصطلح عادة في المعاني الواسعة، اللاهوت الذي ينسجم مع **محتوى** الكتاب المقدس. وحسب هذه النظرة، إن علم اللاهوت الكتابي هو لاهوت، يعكس تعليم الكتاب المقدس بدقة.

وغني عن القول، أنه مهم جداً بالنسبة للإنجيليين، أن يكون كل اللاهوت كتابيٌ بالمعنى الواسع. فنحن نريد أن نكون أمناء لمحتوى الكتاب المقدس، لأننا ملتزمون بعقيدة **الكتاب المقدس وحده**، وهي الاعتقاد بأن الأسفار المقدسة، هي بمثابة الحَكَم الأعلى والنهائي في كل المسائل اللاهوتية.

لكن يتحدث اللاهوتيون المعاصرون أيضاً عن علم اللاهوت الكتابي **بمعنى أضيق** بكثير، وأكثر تقنية. وليس علم اللاهوت الكتابي، بمعناه الضيق هذا، لاهوتاً يتطابق مع **محتوى** الكتاب المقدس فقط، بل مع **أولويات** الكتاب المقدس أيضاً. ولا يتمسك علم اللاهوت الكتابي، من وجهة النظر هذه، فقط بما يعلّمه الكتاب

المقدس بل أيضاً بالطريقة التي يرتّب بها الكتاب المقدس أو ينظّم لاهوته. وقد أصبح علم اللاهوت الكتابي بهذا المعنى الضيق فرع دراسة رسمي. وسيكون محورُ اهتمامنا في هذا الدرس.

يمكنك أن تتصور الآن أنه بينما يستكشف المسيحيون الأسفار المقدسة في كل العالم، فإنهم يتبنون وجهات نظر مختلفة حول تنظيم الكتاب المقدس للاهوته. وهكذا، يجب أن لا نستغرب إذا تبنّى اللاهوتيون المعاصرون، وجهات نظر مختلفة في علم اللاهوت الكتابي. ولن يسمح لنا الوقت باستكشاف كل وجهات النظر المختلفة هذه. ولهذا، سنركز على أحد الأشكال الأكثر شعبيةً وتأثيراً في علم اللاهوت الكتابي.

ومن أجل أهداف دروسنا، يمكننا تعريف هذا الشكل الهام من **علم اللاهوت الكتابي** بهذه الطريقة: "**علم اللاهوت الكتابي هو التأمل اللاهوتي المُستَمَد من التحليل التاريخي لأعمال الله المذكورة في الكتاب المقدس**". ويتضمن هذا التعريف ثلاثة جوانب على الأقل: أولاً، يستند علم اللاهوت الكتابي على استراتيجية تفسيرية للكتاب المقدس، سندعوها "**بالتحليل التاريخي**". ثانياً، يهتم هذا التحليل التاريخي بصورة خاصة "**بأعمال الله**" الموجودة في الكتاب المقدس. وثالثاً، يتضمن علم اللاهوت الكتابي، "**التأمل اللاهوتي**" بالأعمال الإلهية في الكتاب المقدس.

وحتى نفهم هذه المقاربة للكتاب المقدس بصورة أفضل، سننظر في هذه الجوانب الثلاث لتعريفنا. أولاً، سنستكشف ما نعنيه "**بالتحليل التاريخي**". ثانياً، سننظر في ما نعنيه **بأعمال الله.** وثالثاً، سنكتشف أنواع "**التأمل اللاهوتي**" التي حدثت في علم اللاهوت الكتابي. دعونا نتأمل أولاً في حقيقة أن علم اللاهوت الكتابي مستمد من **التحليل التاريخي** للأسفار المقدسة.

حتى نفهم ما نعنيه بالتحليل التاريخي، نحتاج إلى مراجعة بعض المعايير الواسعة التي سبق وقدمناها في سلاسل أخرى. وقد رأينا في سلسلتنا بناء علم اللاهوت النظامي، أن الروح القدس قاد الكنيسة، في سعيها **للتفسير النصي للكتاب المقدس،** في ثلاث طرق رئيسية: **التحليل الأدبي، التحليل التاريخي، والتحليل الموضوعي.** وكما قلنا مراراً، يستخدم المسيحيون باستمرار هذه الطرق الثلاث معاً، لكن من أجل مناقشتنا، مفيدٌ أن نتناول كلٌ منها على حدة.

حيث ينظر **التحليل الأدبي** إلى الأسفار المقدسة كصورة، أي كوصف أدبي، صممه كتّابه البشريين ليؤثروا في القرّاء بطرق معينَة. وينظر **التحليل التاريخي** إلى الأسفار المقدسة، كنافذة على التاريخ، باحثاً في الأحداث التاريخية التي تكمن في خلفية الكتاب المقدس. أما **التحليل الموضوعي،** فينظر إلى الكتاب المقدس كمرآة تعكس اهتماماتنا وأسئلتنا. إن **علم اللاهوت النظامي** هو فرع دراسة رسمي، يستند بصورة رئيسية على **التحليل الموضوعي.** ويشدّد علماء علم اللاهوت النظامي، على مواضيع وأولويات مسيحية تقليدية، تطورت على مدى تاريخ

الكنيسة. وهم يقاربون الأسفار المقدسة بشكل نموذجي، باحثين عن أجوبة على لائحة طويلة من الأسئلة والمواضيع التقليدية.

بالمقابل، يقارب **علم اللاهوت الكتابي** الأسفار المقدسة بصورة رئيسية، **بالتحليل التاريخي**. فهو ينظر إلى الكتاب المقدس كنافذة تشكل مدخلاً إلى التاريخ.

وكما سنرى في هذه السلسلة، عندما يتحول تركيز التفسير النصي للكتاب المقدس من المواضيع اللاهوتية التقليدية، إلى الأحداث التاريخية المُصوَّرة في الكتاب المقدس، فإن مجموعة جديدة من الأولويات والاهتمامات تظهر. ورغم أن علم اللاهوت الكتابي السليم لا يناقض علم اللاهوت النظامي السليم، فإنه مع ذلك يقود إلى معايير لاهوتية مختلفة بشكل هام.

بعد أن رأينا أن علم اللاهوت الكتابي يستند على **التحليل التاريخي** للأسفار المقدسة، يجب أن ننتقل إلى حقيقةِ أنه مهتم في المقام الأول **بأعمال الله**. ويروي لنا الكتاب المقدس أنواعاً مختلفة من الأحداث التاريخية، لكنّ علم اللاهوت الكتابي يسأل بشكل رئيسي، "ما الذي تقوله الأسفار المقدسة عمّا فعله الله؟" ولأن المسيحيون يجيبون عن هذا السؤال بطرق مختلفة، لا بد لنا أن نتوقف للحظة لنتأمل في ما يعلمه الكتاب المقدس عن أعمال الله في التاريخ.

إن إحدى الطرق التقليدية التي تساعدنا في التحدث عن عمل الله في التاريخ، تظهر في **إقرار الإيمان الويستمنستري، الفصل الخامس، والجزء الثالث. إن**

وصفه لعمل الله في العالم يعطينا خلاصة مناسبة لبعض المعايير الهامة. اصغِ إلى الطريقة التي تُوصف فيها عناية الله هناك:

إن الله في عنايته العادية يستخدم الوسائط، لكنه حرٌ أن يعمل بدونها وفوقها وضدها، حسب مسرَّته.

لاحظ هنا، أن "إقرار الإيمان" يعدّد أربع فئات رئيسية للعناية الإلهية، أي تدخُل الله في التاريخ، أو ما نسمّيه بأعمال الله. وهو يعرّف هذه الفئات بالنسبة للطرق التي يشمل فيها الله نفسه "**بالوسائط**"، التي هي وسائل مخلوقة أو مُسببات.

ويشير "الإقرار" في بداية السلسلة، إلى أن الله يستخدم عادة الوسائط، أي أنه **يعمل من خلال الوسائط.** بكلمات أخرى، يتمّم الله أهدافه في التاريخ، بالعمل من خلال أقسام مختلفة في الخليقة. وتتضمن هذه الفئة أموراً مثل الأحداث الطبيعية وعمله اليومي في الخليقة.

ثانياً، يتحدث "الإقرار" عن عمل الله **بدون الوسائط،** متدخلاً في العالم مباشرة دون استخدام وسائط طبيعية على الإطلاق. على سبيل المثال، نرى الله أحياناً في الأسفار المقدسة يُنزِل الأمراض بالشعب ويشفيهم دون استخدام أية وسائط مخلوقة ظاهرة.

ثالثاً، يتحدث "الإقرار" عن عمل الله في التاريخ **فوق الوسائط،** آخذاً شيئاً عادياً نوعاً ما، وجاعلاً إياه شيئاً أعظم. على سبيل المثال، أن ولادة إسحق فوق الطبيعية

من سارة حدثت من خلال اتحادها بإبراهيم، لكنها حدثت في شيخوختها، بعد أن تخطت السن الطبيعي لإنجاب الأولاد بكثير.

ورابعاً، يتحدث "الإقرار" عن عمل الله **ضد الوسائط،** جاعلاً الأمور تحدث بطرق مناقضة لأعمال الخليقة الطبيعية. على سبيل المثال، عمل الله، في أيام يشوع، بعمل مناقض لنمط الطبيعة العادية، عندما أوقف الشمس في مكانها.

تساعدنا هذه الفئات الأربع للعناية الإلهية، على توضيح ما نعنيه بأعمال الله. وتوجد أوقات يعمل فيها الله من خلال الوسائط. ويبدو غالباً في مثل هذه الأحداث، أن الله قلما يتدخل فيها، علماً أنه يسيطر عليها باستمرار من خلف الستار. لكن أعمال الله الأخرى مثيرة أكثر. فعندما يعمل الله دون، فوق، أو حتى ضد القوات المخلوقة، فإننا ندعو هذه الأحداث عادة "بالتدخلات الإلهية" أو "المعجزات".

عندما يركّز اللاهوتيون الكتابيون على أعمال الله في الأسفار المقدسة، فإنهم يعيرون اهتماماً لهذا المجال الكامل من النشاط الإلهي، لكن ليس بصورة متساوية. فمع حقيقة أنهم يتأملون أحياناً في أحداث عادية، عمل الله فيها من خلال الوسائط، فإنهم يركزون بصورة **رئيسية** على أعمال الله الاستثنائية، أي الأوقات التي يعمل بها الله بدون، فوق وضد الوسائط العادية. وكلما كان عمل الله مذهلاً، كلما اتجه اللاهوتيون الكتابيون إلى التشديد عليه.

وتبرز أحداث مثل الخليقة؛ الخروج من مصر؛ احتلال كنعان؛ ولادة المسيح، حياته، موته، قيامته وصعوده إلى السماء على صفحات الأسفار المقدسة، كالأوقات التي تدخّل فيها الله بصورة مثيرة في التاريخ. ولهذا، عندما نقول أن علم اللاهوت الكتابي يجذب الانتباه إلى أعمال الله، فإننا نعني هذه الأنواع من أعمال الله الاستثنائية بصورة أساسية .

بعد أن رأينا، أن علم اللاهوت الكتابي ينظر إلى الكتاب المقدس من خلال **التحليل التاريخي**، ويركّز على **أعمال الله** الاستثنائية المذكورة في الأسفار المقدسة، يجب أن ننتقل إلى البعد الثالث لتعريفنا: وهو حقيقة أن علم اللاهوت الكتابي يتضمن **التأمل اللاهوتي** في هذه المسائل.

يستند **التأمل اللاهوتي** في علم اللاهوت الكتابي، على التحليل التاريخي لأعمال الله في الأسفار المقدسة، لكن يمكن للتحليل التاريخي أن يتخذ أشكالاً مختلفة. وسيساعدنا أن نتأمل في اتجاهين رئيسيين على الأقل: **التحليل التاريخي الواقعي، والتحليل التاريخي اللاهوتي.** ويسير هذان الاتجاهان جنباً إلى جنب، لكن اهتماماتهما الرئيسية مختلفة تماماً. تأملْ أولاً فيما نعنيه **بالتحليل التاريخي الواقعي.**

يتناول قراء الكتاب المقدس العصريون الاقتراب "الواقعي" للتاريخ الكتابي في أكثر الأحيان. هذا يعني، أنهم يهتمون بكيفية تناسب الأحداث المذكورة في الأسفار المقدسة، مع البيئة الأوسع للشرق الأدنى القديم. ويهتم الاقتراب الواقعي للتحليل التاريخي، بأسئلة مثل تاريخ الخروج بقيادة موسى، الظروف التاريخية التي أدت إلى ملكية إسرائيل، الأدلة على معارك معينة وأحداث حاسمة أخرى. إن الهدف من التحليل الواقعي التاريخي، واضح إلى حد ما. فهو يهدف إلى تأسيس سجل موثوق لوقائع التاريخ، عن طريق دمج ما نتعلمه من الأسفار المقدسة مع المعلومات التي نجمعها من مصادر من خارج الكتاب المقدس.

ورغم أهمية هذه الاهتمامات الواقعية، فإن علم اللاهوت الكتابي مهتم أكثر **بالتحليل التاريخي اللاهوتي.** حيث يهتم اللاهوتيون الكتابيون بالمعنى اللاهوتي لأعمال الله المدونة في الأسفار المقدسة بشكل أكثر.

لكي تفهم ما نعنيه، علينا أن ننتقل إلى التعريف الأساسي للاهوت، والموجود في كتابات **توما الإكويني**، والتي تتضمن معظم ما يعنيه المسيحيون عندما يتكلمون عن التأمل اللاهوتي.
وقد دعا الاكويني اللاهوت في **الكتاب الأول، الفصل الأول، والجزء السابع** من كتابه الشهير "**الخلاصة اللاهوتية**"، "**بالعقيدة المقدسة**"، وعرفه كما يلي:
"علمٌ موحّد يتم التعامل فيه مع كل الأشياء تحت عنوان الله، إما لأنها الله أو لأنها تشير إليه".

يميل المسيحيون، بصورة عامة، للاتفاق مع الإكويني بأن للاهوت اهتمامان رئيسيان.

إن الأمر اللاهوتي، من جهة، هو أي شيء يشير **مباشرةً إلى الله.** ومن جهة أخرى، هو أي شيء يصف مواضيع أخرى بالنسبة **لعلاقتها بالله.** إن الفئة السابقة، هي ما يسميه اللاهوت التقليدي **باللاهوت الصحيح.** وتتضمن الفئة اللاحقة أموراً مثل عقائد: **البشرية، الخطية، الخلاص، السلوكيات، الكنيسة،** وما شابه ذلك.

ويعطينا هذا التعريف الثنائي، بصيرة للطرق التي يتضمن بها علم اللاهوت الكتابي تأملاً لاهوتياً. حيث يستكشف اللاهوتيون الكتابيون، من جهة، ما يقوله الكتاب المقدس عن أعمال الله، ليروا ما يعلمونا عن الله نفسه. ما الذي تكشفه أعمال الله العظيمة، عن شخص الله وإرادته؟ ويهتم علم اللاهوت الكتابي، من جهة أخرى، أيضاً بمواضيع أخرى بالنسبة لعلاقتها بالله مثل: الجنس البشري، الخطية، الخلاص، وعدد كبير من المواضيع الأخرى. ويفتح علم اللاهوت الكتابي الطريق لتعزيز وتوسيع فهمنا لكل هذه المواضيع اللاهوتية.

بعد أن بحثنا في هذا التوجه الأساسي، دعونا ننتقل إلى موضوعنا الأساسي الثاني: أي **التطورات** التي قادت إلى فرع الدراسة الرسمي لعلم اللاهوت الكتابي. كيف نشأ؟ لماذا قارب المسيحيون الأسفار المقدسة بهذه الطريقة؟

سننظر في بعدين لهذه الأسئلة: أولاً، سنسكتشف بعض **التغييرات الثقافية** الأساسية التي هيأت الطريق لعلم اللاهوت الكتابي. وثانياً، سنرى **ردود فعل الكنيسة اللاهوتية** مع هذه **التغييرات** الثقافية. لننظر أولاً في **التحوّلات الثقافية** التي رافقت نَشْأَة علم اللاهوت الكتابي.

علينا أن نتذكر دائماً، أن اللاهوتيين المسيحيين سعوا بعدل لتحقيق الإرسالية العظمى، عن طريق إعادة صياغة اللاهوت المسيحي بطريقة تتواصل مع ثقافاتهم المعاصرة بشكل جيد. وقد رأينا في دروس أخرى، أن علم اللاهوت النظامي نشأ من محاولات كنيسة القرون الوسطى والقديمة لتقديم حقيقة المسيح إلى عالم البحر الأبيض المتوسط عندما كان خاضعاً لسيطرة الأفلاطونية الحديثة والأرسطورية. وبينما واجه المسيحيون تحديات هاتين الفلسفتين، سعوا ليبقوا أمناء للأسفار المقدسة، لكن أيضاً ليعالجوا مسائل برزت نتيجة وجهات النظر الفلسفية هذه.

وبطريقة مماثلة، إن علم اللاهوت الكتابي هو إلى حد كبير، استجابة للتحولات الثقافية التي يمكننا إرجاعها إلى عصر التنوير في القرن السابع عشر. هذا لا يعني، أن اهتمامات علم اللاهوت الكتابي كانت جديدة كلياً، أو أنها تنتمي إلى العصر الحديث فقط. حيث استكشف المسيحيون أعمال الله المدوّنة في الأسفار المقدسة دائماً. لكن في العصر الحديث، حدثت تحولات ثقافية هامة، قادت اللاهوتيين للتشديد على هذه الاهتمامات التاريخية كما لم يحدث من قبل.

ببساطة، إن علم اللاهوت الكتابي هو استجابة مسيحية لحركة فكرية بارزة في العصر الحديث، كثيراً ما تدعى **بالتاريخية الحديثة**. إن التاريخية الحديثة، بصورة عامة، هي الاعتقاد بأن التاريخ يمسك مفتاح فهمنا لأنفسنا وللعالم من حولنا. وحسب هذا الرأي، يمكن اكتساب فهمٍ كافٍ لأي شيء فقط، من خلال النظر إلى المكان الذي يحتله في التاريخ.

إن أحد الشخصيات الأكثر شهرة في عصر التنوير، والذي عبّر عن هذا التحول الثقافي، هو الفيلسوف الألماني **جيورج ڤيلهلم فريدريك هيجل** (والذي عاش من سنة **1770** إلى **1831**). وقد اشتهر هيكل من خلال اقتراحه بأن كل جانب من جوانب الواقع، متداخل في أنماط منطقية للتقدم التاريخي المعروف بالجدلية. إن الكون بأكمله، حسب رأيه، مرتبٌ من الله بحيث اتبع منطقاً تاريخياً معيناً من الله. ونفهم كل مادة في العالم، حسب هذا الرأي، بصورة أفضل عندما نراه في ضوء هذا النمط العقلاني للتاريخ.

لقد برز هذا الشكل من التاريخية وأشكال أخرى غيره، في العصر الحديث لعدة أسباب. على سبيل المثال، تلقي الاكتشافات الأثرية للانهيارات، ضوء كبيراً على ثقافات العالم القديمة. وأصبح علم الجيولوجيا مسعاً ليبين عمر الأرض وتطورها، وليس فقط لفهم الوضع الذي هي عليه في الوقت الحاضر. حتى علم الأحياء، أصبح تاريخياً في تركيزه، حيث بدأ العديد من علماء الأحياء بعرض مجال عملهم من خلال نظرية التطور لداروِن، معتقدين أنها الطريقة التي تطورت فيها الحياة

على كوكبنا. وحدثت تحولات مماثلة نحو التاريخية الحديثة، تقريباً في كل فرعٍ دراسةٍ أكاديمي، بما فيها اللاهوت. وكان يُعتَقَد أن كل شيء في الحياة يُفهم تماماً، عندما يتم تقييمه بالنسبة لمجرى التاريخ.

بعد أن شددنا على التاريخية الحديثة، علينا أن نوجه انتباهنا إلى الطرق التي **ردّ فيها اللاهوتيون** المسيحيون على هذه التغييرات الثقافية. ما الأثر الذي تركته التاريخية على الطرق التي تناول فيها المسيحيون اللاهوت، لاسيما الطرق التي فسروا فيها الكتاب المقدس؟

إن للتاريخية آثار لا تُحصى على اللاهوت المسيحي الحديث، لكننا مهتمون في هذا الدرس بصورة خاصة، بالطريقة التي أنشأت فيها التاريخية علم اللاهوت الكتابي. من الواضح، أن علم اللاهوت الكتابي يعكس اهتمام الثقافة الغربية المعاصرة بالتاريخ. لكن كما سنرى، تمسك بعض اللاهوتيين بالتاريخية بطرق أساءت إلى المعتقدات المسيحية الأساسية، بينما استفاد آخرون من بصائر قيّمة للتاريخية، بطرق أيدت وحتى أنها عززت فهمنا للإيمان المسيحي.

لهذا السبب، سنتبع اتجاهين رئيسين تم اتخاذهما في فرع دراسة علم اللاهوت الكتابي. أولاً، سنفحص ما سنسميه بـ"علم اللاهوت الكتابي **النقدي**"، أي أشكال فرع الدراسة التي اتبعت روح الحداثة إلى حد رَفْض السلطة الكتابية. وثانياً، سنكتشف "علم اللاهوت الكتابي **الإنجيلي**"، أي طرق فرع الدراسة التي سعي إليها

اللاهوتيون الذين بقوا مخلصين لسلطة الكتاب المقدس. فلننظر أولاً إلى تطورات علم اللاهوت الكتابي في الأوساط **النقدية**.

ألهمت التاريخية الحديثة العديد من اللاهوتيين **النقديين** لمقاربة الأسفار المقدسة بأسئلة وأولويات جديدة. ويمكننا فهم لب المسألة بالتطرّق باختصار إلى مرحلتين تاريخيتين للتطور. أولاً، سننظر إلى المراحل **الباكرة** في القرن الثامن عشر. وثانياً، سنصف بعض التطورات اللاحقة في التاريخ **الحديث**. لننظر أولاً إلى علم اللاهوت الكتابي النقدي **الباكر**.

من الشائع أن نتبع أصول علم اللاهوت الكتابي الحديث، إلى الخُطبة الافتتاحية **ليوهان غابلر** في جامعة ألتدورف في سنة **1787**. وبالرغم من وجود سلائف هامين قبل غابلر، فقد تحدث عن نقطة مميزة، وجهت اللاهوت المسيحي لعدة قرون.

ميّز غابلر مسعيين لاهوتيين أساسيين. فقد تحدث عن "**علم اللاهوت الكتابي**" من جهة، وعرّفه على أنه **فرع الدراسة التاريخي الذي يصف تعاليم الكتاب المقدس، ضمن سياقه التاريخي القديم الخاص**. وكان الهدف من علم اللاهوت الكتابي، بحسب رأيه، اكتشاف ما آمن به الكتّاب الكتابيين القدماء والشخصيات، عن الله وعن العالم الذي عاشوا فيه. بينما تحدث غابلر، من جهة أخرى، عن علم **اللاهوت** العقائدي أو **النظامي**. ولم يكن الهدف من علم اللاهوت النظامي فحص

أو تفسير الكتاب المقدس، بل تحديد ما يجب أن يؤمن به المسيحيون في العالم الحديث، من خلال التأمل العقلاني في العلم والدين. ومهمٌ أن ندرك أن غابلر كلاهوتي نقدي، آمن أنه قد يكون للنتائج التي توصّل إليها **علم اللاهوت الكتابي**، بعض الاهتمام من وقت لأخر، لكن يجب أن يؤمن المسيحيون المعاصرون فقط بتلك الأجزاء من الكتاب المقدس التي تتجاوز معايير التحليل العقلاني والعلمي الحديث. حيث تعكس الأسفار المقدسة، حسب رأيه، الممارسات والمعتقدات الساذجة للشعوب التي عاشت قبل العصر العقلاني الحديث. ولهذا السبب، يجب أن يكون علم اللاهوت النظامي فرع دراسة مستقل نسبياً، غير معنيٍ بما يكتشفه علم اللاهوت الكتابي في الكتاب المقدس إلى حد كبير.

لقد وضع تمييز غابلر بين علم اللاهوت الكتابي وعلم اللاهوت النظامي إرشادات للاهوتيين **النقديين**، استمرت حتى إلى يومنا هذا. لكن مهمٌ أن نرى أيضاً كيف تطور علم اللاهوت الكتابي النقدي في القرون **الحديثة**.

إن إحدى ميّزات اللاهوت الكتابي النقدي في القرون الحديثة، هي الاقتناع المتزايد بأنه لا يمكن الاعتماد على ادعاءات الكتاب المقدس التاريخية كلياً. على العموم، رفض علماء النقد العديد من أجزاء الأسفار المقدسة واعتبروها خاطئة، خيال ديني، أو حتى احتيال كامل. ولم يكن عبور البحر الأحمر، حسب هذا المعيار، سوى ريحاً شديدة تهب على مستنقع، أو مجموعة صغيرة من العبيد هربوا من مصر في مراكب. وكان احتلال كنعان أكثر من سلسلة من المعارك المحلية بين

العشائر شبه الرُحّل وحكام المدن في كنعان. ومع تقدم اللاهوت النقدي، شك عدد من كبار العلماء النقديين فعلاً بأن إبراهيم شخصية تاريخية، أو حتى بوجود موسى. حتى أنهم ادعوا إذا كان يسوع موجوداً، فقد يكون معلماً أخلاقياً عظيماً، لكنه بالتأكيد لم يصنع المعجزات أو يقم من بين الأموات.

يمكنك أن تتخيل، كيف أصبح صعباً على اللاهوتيين النقديين بشكل متزايد، أن يقتبسوا من الأسفار المقدسة بينما شكّلوا علم اللاهوت النظامي الخاص بهم. وربما كنا نتوقعهم ببساطة أن يضعوا علم اللاهوت الكتابي جانباً، بما أنهم فكروا أن الكتاب المقدس مُفسدٌ بالادعاءات التاريخية المُضَلِلَة. وكان هذا رد فعل الكثيرين خلال العصر الحديث. لكن حقل علم اللاهوت الكتابي لم يمت عندما رفض اللاهوتيون النقديون السلطة الكتابية. إنما وجدوا طرقاً أخرى لاستخدام الأسفار المقدسة في اللاهوت المعاصر. وبدلاً من التعامل مع الكتاب المقدس كتاريخ حقيقي، بدأوا بالنظر إلى الأسفار المقدسة كتعابير لمشاعر دينية قديمة، مُقدَّمة كادعاءات تاريخية، واستكشفوا كيف يمكن أن تكون تلك المشاعر والخبرات الدينية القديمة مفيدة للمسيحيين العصريين.

وقد عبّر ج. **إرنست رايت**، وهو لاهوتي كتابي بارز في القرن العشرين، عن وجهة النظر هذه عندما عرّف علم اللاهوت الكتابي بهذه الطريقة في كتابه، **الله الذي يعمل**:

لذلك يجب تعريف علم اللاهوت الكتابي، كحكاية اعترافية بأعمال الله في تاريخ معيّن، مع التشديد المأخوذ من ذلك.

لاحظ ما قاله رايت هنا. أولاً، يركّز علم اللاهوت الكتابي، برأيه، على "**أعمال الله**". لكن كان لدى رايت معنى خاص جداً، تحدث فيه عن "أعمال الله". فبدلاً من التركيز على الأحداث كما حصلت فعلاً، أصرّ رايت على أن يهتم علم اللاهوت الكتابي " **بحكاية اعترافية** " بأعمال الله الموجودة في كتب مثل الكتاب المقدس.

ثانياً، آمن رايت أيضاً بأن على علم اللاهوت الكتابي الاهتمام "**بالتشديد المأخوذ**" من "إقرار الإيمان" بأعمال الله في الأسفار المقدسة. فحسب رأي رايت، كان التاريخ المدوّن في الأسفار المقدسة على الأغلب خيالياً. لكن، عندما يُعرَض بشكل صحيح فإن قصصه تنقل الحقيقة اللاهوتية. وهكذا، كانت وظيفة اللاهوتي الكتابي، اكتشاف الحقيقة اللاهوتية وراء السجلات الخيالية للأسفار المقدسة.

تتوافق هذه المقاربة في علم اللاهوت الكتابي النقدي تماماً مع ميزةٍ باتت مألوفةً في اللاهوت العصري. فقد ميّز عدد من اللاهوتيين الألمان **الأحداث التاريخية** الواقعية من الإقرار التاريخي، الذي يظهر في الكتاب المقدس من خلال استخدام مصطلحين مختلفين. وتم الإشارة إلى **الأحداث الواقعية** بمصطلح "***historia***". وهي أحداث الأسفار المقدسة التي يمكن تأكيدها بالبحث العلمي الحديث. لكنّ الكثير من "**القصص الدينية التاريخية** " التي نجدها في الكتاب المقدس، ليست في الواقع تاريخاً برأيهم. إنها "***Heilsgeschichte***" أي "التاريخ الفدائي" أو

"التاريخ الخلاصي". التاريخ الخلاصي هو التعبير عن المشاعر الدينية في شكل سرد تاريخي. والتاريخ الفدائي هو "حكاية اعترافية" بالأحداث التي نجدها في الكتاب المقدس.

حتى في يومنا هذا، إن معظم اللاهوتيين النقديين الذين لا يرفضون ببساطة الأسفار المقدسة تماماً، يتعاملون مع تاريخ الكتاب المقدس مثل ***Heilsgeschichte***، أي "**التاريخ الفدائي**"، تأملات لاهوتية "إقرارية شبه تاريخية". ورغم رفض المصداقية التاريخية للأسفار المقدسة، فانهم ينقذون الأسفار المقدسة إلى حدٍ ما من أجل لاهوتهم، من خلال استكشاف الطريقة التي تعكس بها المشاعر البشرية الدينية. إن *Heilsgeschichte*، أي تقاليد إسرائيل والكنيسة الأولى، هي تركيز معظم اللاهوت العصري الكتابي النقدي، وتُعتَبَر استنتاجاته، إلى حد ما، مصدر معلومات بالنسبة لعلم اللاهوت النظامي الحديث أو اللاهوت المعاصر.

وبعد أن رسمنا مخططاً لتطور علم اللاهوت الكتابي كفرع دراسة بين اللاهوتيين النقديين، علينا أن ننتقل إلى تيار الأفكار الثاني: **علم اللاهوت الكتابي الإنجيلي.** ونستخدم كلمة "**إنجيلي**" هنا ببساطة لنعني أن أولئك المسيحيين استمروا في التأكيد على سلطة الأسفار المقدسة غير القابلة للشك.

لحسن الحظ، يوجد العديد من المسيحيين في عدة فروع من الكنيسة، في جميع أنحاء العالم، الذين لم يتبعوا الرفض النقدي للسلطة الكتابية. وبدون إنكار قيمة

وأهمية البحث العلمي، ما زال هؤلاء الإنجيليون يتمسكون بصحة الأسفار المقدسة في كل ما تدعيه، بما فيها ما تعلنه عن التاريخ. لكن مع وجود هذه الالتزامات الثابتة بالسلطة الكتابية، فإن للتاريخية الحديثة آثار هامة حتى على الطرق التي يقارب فيها الإنجيليون الأسفار المقدسة.

وحتى نستكشف علم اللاهوت الكتابي **الإنجيلي**، سنركز انتباهنا في اتجاهين يوازيان مناقشتنا للمقاربات النقدية: أولاً، المراحل **الباكرة** لعلم اللاهوت الكتابي الانجيلي الحديث. وثانياً، المزيد من التطورات **الحديثة**.

سنتطرق للمراحل الباكرة لعلم اللاهوت الكتابي الإنجيلي بالنظر في الآراء العظيمة التأثير للاهوتيَين أمريكيَين في القرن التاسع عشر من كلية برنستون للاهوت. أولاً، سنرسم مخططاً لوجهة نظر **تشارلز هودج**. وثانياً، سننظر في رأي **بنجامِن ب. وورفيلد**. فلنبدأ بالنظر إلى الطريقة التي فهم فيها **تشارلز هودج** علم اللاهوت الكتابي.

عاش **تشارلز هودج** من سنة **1797 إلى 1878**، وكرّس ذاته أولاً لدراسة علم اللاهوت النظامي. اصغِ إلى الطريقة التي ميّز فيها هودج بين علم اللاهوت الكتابي وعلم اللاهوت النظامي في مقدمة كتابه المؤلف من **ثلاثة مجلدات، علم اللاهوت النظامي:**

يشكل هذا الفرق بين علم اللاهوت الكتابي وعلم اللاهوت النظامي. إن وظيفة [علم اللاهوت الكتابي] هي التحقق من حقائق الأسفار المقدسة وإعلانها. أما وظيفة [علم اللاهوت النظامي] فهي أخذ تلك الحقائق، وتحديد علاقتها ببعضها البعض وبحقائق أخرى مشابهة، بالإضافة إلى الدفاع عنها وإظهار انسجامها وتماسكها.

وكما نرى هنا، عرّف هودج علم اللاهوت الكتابي بأنه فرع دراسة تفسيري، أي دراسة **حقائق الأسفار المقدسة.** كما أنه عرّف علم اللاهوت النظامي، بصفته فرع الدراسة الذي يأخذ الحقائق التي يتبيَنها من خلال علم اللاهوت الكتابي، وينظمها **بالنسبة لعلاقتها ببعضها البعض،** مظهراً روابطها المنطقية المختلفة.

وبعكس اللاهوتيين النقديين، آمن **هودج** بسلطة الأسفار المقدسة. وقد قاده التزامه بالسلطة الكتابية، أن يعلّم بأن المسيحيين ملزمون ببناء **علم اللاهوت النظامي** على نتائج **علم اللاهوت الكتابي.** وبدلاً من رفض هذا الجزء أو ذاك من الأسفار المقدسة وقبول أخرى انتقائياً، أصر هودج على وجوب خضوع علم اللاهوت النظامي لكل الاكتشافات التي قام بها علم اللاهوت الكتابي في الأسفار المقدسة، بوضعهم بترتيب منطقي.

ورغم استمرار الكثير من وجهات نظر **هودج** في التأثير في الإنجيليين لفترة طويلة بعد موته، فإن تحولاً هاماً حدث في علم اللاهوت الكتابي الإنجيلي بتأثير أحد خلفائه، **بنجامِن ب. وورفيلد** الذي عاش من سنة **1851 إلى 1921.** فقد جهزته

خبرته في الدراسات الكتابية، ليقدّم إسهامات هامة في المفهوم الإنجيلي لعلم اللاهوت الكتابي. اصغ إلى الطريقة التي تكلم فيها وورفيلد عن تسلسل أو تنظيم اللاهوت في الكتاب المقدس، في مقالته المؤثرة: **فكرة علم اللاهوت النظامي.** كتب هذه الكلمات **في الجزء الخامس** من هذا المقالة:

ليس علم اللاهوت النظامي تسلسلاً أو [تنظيماً منطقياً] للمعلومات اللاهوتية المبعثرة المزودة من خلال عملية التفسير؛ إنه الجمع للمعلومات التي سبق تسلسلها أو [تنظيمها منطقياً] والمعطاة له من علم اللاهوت الكتابي... نحن نكتسب أصدق علم لاهوت نظامي ليس عن طريق التوفيق بين التصريحات العقائدية المنفصلة في الأسفار المقدسة، بل عن طريق جمعهم بتنظيمهم وحجمهم المناسب، كما تحتل موقعها بين الأنواع المتعددة من لاهوت الأسفار المقدسة.

صنع وورفيلد، في هذه الفقرة، ثلاث نقاط رئيسية على الأقل. أولاً، **يجب أن لا يكون علم اللاهوت النظامي تسلسلاً أو تنظيماً لتصريحات لاهوتية منفصلة أو غير مترابطة موجودة في الكتاب المقدس.**

مال اللاهوتيون الانجيليون، قبل **وورفيلد**، إلى التعامل مع الكتاب المقدس كمورد للافتراضات **اللاهوتية النظامية**، ونظموا تلك الافتراضات بحسب الأنماط التقليدية لعلم اللاهوت النظامي. وقد تم تلخيص تعاليم الكتاب المقدس بطرق تم التعامل معها كمعلوماتٍ خام. لكن أشار وورفيلد إلى أن تعاليم الكتاب المقدس سبق وتم تنظيمها في الكتاب المقدس نفسه. فالكتاب المقدس، ليس مجموعة من

الافتراضات غير المنظمة؛ بل له تنظيمه المنطقي الخاص، وكذلك معاييره اللاهوتية الخاصة.

ثانياً، من وجهة نظر **وورفيلد**، لا يوجد طريقة واحدة لتنظيم اللاهوت في الأسفار المقدسة. ومن المؤكد أن الكتاب المقدس لا يناقض نفسه؛ فكل تعاليمه منسجمة. لكن، كما قال، يتعامل علم اللاهوت الكتابي مع "**الأنواع المتعددة من لاهوت الأسفار المقدسة**".

وقد عبّر الكتّاب البشريون للكتب الكتابية عن آرائهم اللاهوتية بطرق مختلفة، لكن مكمّلة لبعضها البعض. وقد عكست أفكارهم مفردات، تركيبات، وأولويات متنوعة. ولم تكن الطريقة التي عبّر فيها **بولس** الرسول عن اللاهوت، تماماً مثل طريقة **إشعياء**؛ كذلك عبر **متى** عن اللاهوت، بمصطلحات، تشديدات ومعايير مختلفة، عن **موسى**.

ثالثاً، لأن علم اللاهوت الكتابي يميّز بين "**الأنواع المتعددة من لاهوت الأسفار المقدسة**، كانت مهمة "**أصدق علم لاهوت نظامي**" دمج الأنظمة اللاهوتية المتعددة للأسفار المقدسة في وحدة متحَّدة. وكان على علم اللاهوت النظامي دمج الأنظمة اللاهوتية للكتاب المقدس "**بتنظيمهم وحجمهم المناسب**".

ببساطة، آمن وورفيلد أن على **علم اللاهوت الكتابي** أن يبين الأنظمة اللاهوتية المتنوعة المقدمة في الأسفار المقدسة. وعلى **علم اللاهوت النظامي** أن **يوّحد الأنواع المتعددة من لاهوت الأسفار المقدسة** في وحدة متحَّدة شاملة. ومنذ أيام وورفيلد إلى يومنا هذا، اتبع اللاهوتيون الكتابيون الإنجيليون، في الجوهر، هذا النمط الأساسي. وقد سعوا إلى اكتشاف وجهات النظر اللاهوتية المُمَيَّزة لأقسام الكتاب المقدس المختلفة، وقد تصوروا علم اللاهوت النظامي كمجهود لجمع كل لاهوت الكتاب المقدس في نظام متحّد.

مبقين خلفية وورفيلد وهودج في أذهاننا، يمكننا التوجه الآن إلى المزيد من التطورات التي حدثت حديثاً في علم اللاهوت الكتابي الانجيلي.

بدون شك، كان للاهوتيٍ كتابيٍ أثرٌ على علم اللاهوت الكتابي الانجيلي المعاصر أكثر من أي لاهوتي آخر، وهو جر**هاردس ڤوس**، الذي عاش من سنة **1862** إلى **1949**. حصل جرهاردس ڤوس في سنة 1984 على منصب الأستاذ الأول في علم اللاهوت الكتابي في كلية برنستون للاهوت. وقد بنى لاهوته على أعمال هودج ووورفيلد، لكنه وجّه فرع الدراسة أيضاً في اتجاهات جديدة.

وعلى نطاقٍ واسع، اتفق ڤوس مع هودج ووورفيلد على أن علم اللاهوت الكتابي يكتشف تعليم الأسفار المقدسة ويعطي إرشاداً ذو سلطة لعلم اللاهوت النظامي. وعلاوة على ذلك، اتفق ڤوس مع وورفيلد أيضاً، أن **علم اللاهوت الكتابي** السليم

سيبين مختلف أنواع اللاهوت في الكتاب المقدس، التي يجب أن تُجمَع معاً في **علم لاهوتي نظامي** كلّي موحّد.

لكن اختلف **ڤوس** عن أسلافه بلفت النظر إلى وجود موضوع مشترك بين كل الأنظمة اللاهوتية المختلفة في الكتاب المقدس. وقد جادل أنه كان للاهوت المتنوع للأسفار المقدسة تركيز مشترك على **تاريخ الفداء**. وقد آمن أن أعمال الله العظيمة في التاريخ شكّلت جوهر التعليم في كل قسم من الكتاب المقدس. لهذا السبب، علّم ڤوس أن علم اللاهوت الكتابي يجب أن يركّز على الطرق التي اهتم فيها كل واحد من الكتّاب الكتابيين أنفسهم بأعمال الله العظيمة.

وكما يشير إليها ڤوس في **حفل تنصيبه** سنة 1894:
يسعى علم اللاهوت النظامي ليبني دائرة، بينما يسعى علم اللاهوت الكتابي ليعيد إنتاج خط... هكذا هي العلاقة الحقيقية بين علم اللاهوت الكتابي وعلم اللاهوت النظامي. إن علم اللاهوت العقائدي هو التاج الذي ينشأ من كل العمل الذي يمكن لعلم اللاهوت الكتابي إنجازه.

يركّز علم اللاهوت الكتابي، وفقاً لڤوس، على الطرق التي يتأمل بها الكتّاب الكتابيين بالتاريخ. ويبين معايير الكتاب المقدس المتنوعة لأعمال الله العظيمة في التاريخ، والمعنى اللاهوتي لتلك الأعمال الإلهية. ثم يجلب علم اللاهوت النظامي، كل ما يعلمه الكتاب المقدس عن تاريخ الفداء في نظام موحّد للاهوت. يستمر علم

اللاهوت الكتابي، تقريباً في كل فروع الحركة الإنجيلية، للمحافظة على هذا التركيز الأساسي.

بعد أن رأينا كيف يركّز **علم اللاهوت الكتابي** الإنجيلي المعاصر على تاريخ الفداء كمحورٍ للأسفار المقدسة. نحن في موقف يمكننا التوجه فيه إلى موضوعنا الرئيسي الثالث في هذا الدرس: كيف يفهم اللاهوتيون الكتابيون الانجيليون العلاقة بين **التاريخ والإعلان**.

نادراً ما يكون لأي مفهومَين نفس الأهمية المركزية التي للتاريخ والإعلان بالنسبة لعلم اللاهوت الكتابي. وكما رأينا، يركز علم اللاهوت الكتابي على التاريخ كموضوع موحِّد لكل الأسفار المقدسة. وأحد أسباب هذا التركيز على التاريخ هو الفهم بأن إعلان الله عن نفسه في الأسفار المقدسة مرتبط بعمق بالأحداث التاريخية.

وحتى نفهم العلاقة بين **التاريخ والإعلان** في علم اللاهوت الكتابي، سنفحص مسألتين: أولاً، سننظر كيف يعرّف اللاهوتيون الكتابيون الإعلان "**كعمل وكلمة**"؛ وثانياً، سنكتشف **معالم** التاريخ والإعلان في الكتاب المقدس. فلنتأمل أولاً في فكرة كون الإعلان الإلهي هو **عمل وكلمة** على حد سواء.

ولكي نستكشف هذه المفاهيم الهامة، سنتطرق لثلاث مسائل. أولاً، سنرى كيف تتكلم الأسفار المقدسة عما نسميه "**إعلان العمل**"؛ ثانياً، سنرى الحاجة إلى ما ندعوه بـ"**إعلان الكلمة**"، أو الإعلان اللفظي. وثالثاً، سنفحص **التواصلات** بين إعلانَي العمل والكلمة. فلنتوجه أولاً إلى مفهوم **إعلان العمل**.

نعلم جميعاً من اختباراتنا المشتركة أن الناس يعلنون أموراً عن ذواتهم بطريقتين على الأقل. فمن جهة، يمكنهم أن يخبرونا بما يفكرون. يمكنهم أن يتكلموا عن أنفسهم، وعما يريدون. لكن من جهة أخرى، يمكننا أن نتعلم أيضاً الكثير عن الآخرين مما يفعلونه. حيث تعلن الطرق التي يتصرفون بها، عن أي نوع من الناس هم. وعندما ننظر إلى الأسفار المقدسة، يتضح لنا بسرعة أن الكتاب المقدس يتكلم غالباً عن إعلان الله عن ذاته من خلال أعماله.

اصغِ، مثلاً، إلى الاحتفال بإعلان الله في **مزمور (98: 2–3)**:
«أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ. لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ. ذَكَرَ رَحْمَتَهُ وَأَمَانَتَهُ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ. رَأَتْ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا».
لاحظ أن كاتب المزمور قال في العدد الثاني أن الله " كَشَفَ" برّه، مستخدماً الكلمة العبرية، ("(((((((hl'G) *ga la*، التي تعني يكشف، يرفع الستار، يُعلِن. قال كاتب المزمور أن الله أعلن أو كشف برّه لعيون الأمم. لكن، كيف يخبرنا هذا المقطع أن الله فعل ذلك؟ هل عن طريق النطق بكلمات "أنا بار"، للأمم؟ كلا، ليس في هذه الحال. فبحسب الآية الثالثة أُعلن برّ الله عندما فعل الله شيئاً. يخبرنا

المزمور أن الله قام بعملٍ كتذكار لبيت إسرائيل، بحيث رَأَتْ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا. إن ما قصده كاتب المزمور هنا، هو عرض، أو إعلان برّ الله عندما حرّر شعبه. فالإعلان الذي تحدث عنه كاتب المزمور، كان عمل الله.

يظهر "إعلان العمل"، من هذا النوع الخارق، في كل الكتاب المقدس. على سبيل المثال، يُظهِر عمل الخليقة قوة الله وطبيعته. ويُظهر خروج إسرائيل من مصر قوة الله على أعدائه، وحبه لشعبه. وبطريقة مماثلة، تأسيس سُلالة داود، سَبِْيْ إسرائيل ويهوذا، الرجوع من السبي، تجسد المسيح، موته وقيامته – هذه كلها، وأحداث عديدة أخرى مدوّنة في الأسفار المقدسة، تُعلن طبيعة الله وإرادته. إن هذا المفهوم "لإعلان العمل" أساسي لعلم اللاهوت الكتابي.

قد لا يبدو للوهلة الأولى، أن لهذا التحول نحو "إعلان العمل"، تأثيرات هامة بالنسبة للاهوت المسيحي. ولهذا، يجب أن نتوقف للحظة لنرى الفرق الذي صنعه هذا التركيز. إن إحدى الطرق التي يمكننا أن نرى من خلالها معنى هذا التركيز التاريخي الحديث، هي من خلال التأمل بعقيدة اللاهوت الصحيح، أي مفهوم الله ذاته، ونرى كيف يتناول كل من علم اللاهوت الكتابي وعلم اللاهوت النظامي هذا الموضوع.

تأمل للحظة ما نتعلمه عن الله من «**أصول الإيمان الويستمينستري المختصر**»، وهو يمثل وجهة النظر التقليدية في علم اللاهوت النظامي. ويسأل أصول الإيمان **المختصر السؤال الرابع؛** "**ما هو الله؟**" ويجيب بهذه الطريقة:

الله روح غير محدود سرمدي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله وصلاحه وحقه.

ليس صعباً أن نرى أنه بينما تكون هذه الإجابة حقيقية بالنسبة للأسفار المقدسة، يُعَرَّف الله في علم اللاهوت النظامي بالأحرى بصورة تجريدية من خلال صفاته السرمدية الثابتة. لكن بالمقابل، اهتم اللاهوتيون الكتابيون أكثر بكثير بأعمال الله الملموسة في التاريخ. وقاد هذا التركيز على "إعلان العمل" إلى تشديد مختلف في اللاهوت الصحيح. عندما يُسأل اللاهوتيون الكتابيون الإنجيليون النموذجيون "**ما هو الله؟**" فإنهم لا يميلوا للإجابة مثل «أصول الإيمان الويستمينستري المختصر». إنهم لا يتعارضوا مع هذا الرأي، لكن تشديدهم هو أكثر على الناحية التاريخية. ويميل اللاهوتيون الكتابيون أكثر بكثير إلى قول شيء مثل، "الله هو الشخص الذي أنقذ إسرائيل من العبودية في مصر". "الله هو من دان إسرائيل بالسبي". أو قد يقولوا، "الله هو من أرسل ابنه إلى العالم".

في كل الأحوال، بدلاً من التفكير بالله أولاً من جهة صفاته الأبدية، يفكر اللاهوتيون الكتابيون بالله أولاً من جهة ما صنعه في التاريخ. وما هو حقيقي في اللاهوت الصحيح يمتد إلى كل ناحية من علم اللاهوت الكتابي.

في الوقت ذاته، بينما يشدّد اللاهوتيون الكتابيون الإنجيليون على معنى "**إعلان العمل**"، فإنهم يؤكدون أيضاً على الحاجة الماسة إلى "**إعلان الكلمة**"، أي الإعلان اللفظي من الله. لا يعمل الله فقط، بل يتكلم أيضاً عن أعماله في الأسفار المقدسة. فهو يشرح أعماله بكلمات.

إن الإعلان اللفظي، أو "**إعلان الكلمة**"، أساسيٌ لعدة أسباب، لكننا سنذكر فقط أمرين بشأن أعمال الله، يجعلان من "إعلان الكلمة" مهماً جداً: **المعنى الغامض** للأحداث، من جهة؛ و**المعنى المتشعب** للأحداث، من جهة أخرى. تأمل أولاً كيف يجعل **غموض** الأحداث في الأسفار المقدسة من "إعلان الكلمة" أمراً ضرورياً.

عندما نقول أن أعمال الله غامضة، نعني أن معنى أعماله ليس واضحاً دائماً للبشر بصورة كاملة. ورغم أن الله يدرك تماماً ما يفعله بصورة كاملة، تحتاج أعماله لأن تُفسَّر أو تُوضَّح من خلال كلمات، حتى نتمكن من فهم معناها.

خذ مثلاً من الحياة اليومية. تخيل أنك جالس في صف مع عدد من الطلاب الآخرين. وفجأة، ودون سابق إنذار، وقف أحد الطلاب. لم يقل شيئاً؛ لكنه وقف فقط. بالطبع، أنت لن تفهم هذا التصرف؛ فهو غامض جداً. وربما تتساءل في نفسك، "لماذا هو واقف؟ ما الذي يحدث"؟ في الواقع، من المحتمل أن يتوقف الأستاذ عن المحاضرة، ويطلب من الطالب الواقف أن يشرح ما يفعله. وأتصور، أن الجميع سيتوقع منه اتصالاً لفظياً يوضح معنى تصرفه.

وبطريقة مماثلة، إن أعمال الله المدوّنة في الأسفار المقدسة، هي في الغالب غامضة بالنسبة للبشر المحدودين والخطاة. فهم أيضاً بحاجة إلى تفسير لفظي، إلى شرح بواسطة كلمات.

خذ مثلاً، الزمن الذي عاد فيه شعب إسرائيل من السبي في بابل وبدأوا بإعادة بناء الهيكل. نقرأ في **عَزْرَا (3: 10–12)** هذه الكلمات.

«وَلَمَّا أَسَّسَ الْبَانُونَ هَيْكَلَ الرَّبِّ... كُلُّ الشَّعْبِ هَتَفُوا هُتَافاً عَظِيماً بِالتَّسْبِيحِ لِلرَّبِّ... وَكَثِيرُونَ مِنَ الْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ وَرُؤُوسِ الآبَاءِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ رَأَوْا الْبَيْتَ الأَوَّلَ بَكَوْا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ عِنْدَ تَأْسِيسِ هذَا الْبَيْتِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. وَكَثِيرُونَ كَانُوا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْهُتَافِ بِفَرَحٍ».

نرى هنا حدثاً في التاريخ الكتابي– أي عملاً عظيماً لله في وضع حجر الأساس لبناء الهيكل، بعد رجوع بني إسرائيل من السبي. لكن كان هذا الحدث غامضاً بالنسبة للذين شهدوه.

رأى بعض الأشخاص أساس الهيكل وابتهجوا لأنهم آمنوا أنه بركة عظيمة. لكن بكى آخرون لأنهم رأوا أن الهيكل الجديد لا يمكن مقارنته بمحاباة مع هيكل سليمان. فبدون اتصال لفظي من الله، كان يمكن فهم هذا الحدث بإحدى هاتين الطريقتين. لهذا السبب، أنفق سفر عزرا وقتًا طويلاً شارحاً المعنى الحقيقي لبناء الهيكل بعد السبي.

وبطريقة مشابهة، نقرأ في **مرقس (3: 22–23)** كيف أسيء فهم طرد يسوع للأرواح من قبل البعض، وكيف أعطى يسوع التفسير الصحيح لأعماله:
«وَأَمَّا الْكَتَبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ. وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ بِأَمْثَال كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَاناً».

استنتج بعض الأشخاص الذين شهدوا أعمال الله العظيمة بشكل خاطئ، أن الشياطين كانت تُطرَد بقوة الشيطان، لكن يسوع أرفق أعماله بكلمات ليوضح أنه كان يتصرف بقوة الله.

يساعد غموض أعمال الله المدوّنة في الكتاب المقدس، حتى نفهم لماذا رافق "إعلان الكلمة" "إعلان العمل" باستمرار. حيث شرح إعلان الله اللفظي الأحداث ليوضح معناها الحقيقي.

بالإضافة لكونه **غامضاً** نوعاً ما، يقترن "إعلان العمل" مع "**إعلان الكلمة**" أيضاً لأن الأحداث **متشعبة في معناها.**

يشبه الحدث في الكتاب المقدس، من عدة نواح، حجراً وقع في بركة. أنتم تعرفون ما يحدث. فالماء يتموج في كل اتجاه، لامساً كل شيء عائماً على سطح البركة. إن أثر سقوط الحجر متشعب؛ فهو يتشعب في كل البركة.

وعلى نحو مماثل، إن الأحداث في الأسفار المقدسة متشعبة في معناها.

خذ على سبيل المثال، حدث عبور إسرائيل للبحر الأحمر. فنحن نعرف جميعاً أن الأسفار المقدسة تفسّر هذا الحدث باعتباره إنقاذ الله لشعبه من قوة المصريين. لكننا نعرف أيضاً، أن شق مياه البحر الأحمر له معانٍ أخرى لا تُحصى أيضاً. مثلاً، فهو على الأرجح، ترك أثراً على الحياة البحرية في المنطقة، وعطل تجارة الأسماك المحلية. وقد لا تبدو هذه العاقبة مهمة بالنسبة لنا اليوم، لكنها مهمة بالنسبة للشعب الذي عاش في تلك المنطقة في ذلك الوقت. وأكثر من هذا، كان لغرق الجيش المصري، كل أنواع المعاني بالنسبة للمصريين. حيث فقدت النساء أزواجهن؛ وفقد الأولاد أباءهم. ومن الصعب تصور الآثار التي لا تُحصى لذلك الحدث. عندما نُدرك أن لأحداث مثل عبور البحر الأحمر معان متشعبة، يبقى أن نسأل: أي من كل هذه المعاني يجب أن يستحوذ انتباهنا؟ أي من هذه المعاني هو الأهم في سعينا لفهم حدثٍ ما في الأسفار المقدسة؟ الإجابة عن هذا السؤال بسيطة للغاية: لقد أعلن الله عن طريق "إعلان الكلمة"، أهم المعاني التي أراد لشعبه أن يفهمها. وبغض النظر عن تفسير الله اللفظي لأعماله، لا نعرف كيف نستنتج مضامين لاهوتية صحيحة من أعمال الله العظيمة.

بعد أن رأينا أن إعلانَي **العمل والكلمة** يترافقان معاً في الأسفار المقدسة، يجب أن نوجّه انتباهنا إلى الطرق التي **يتواصل بها** هذان الشكلان من الإعلان. بأي طرق يمكن لإعلانَي العمل والكلمة أن يرتبطا معاً في علم اللاهوت الكتابي؟

ومن أجل أهدافنا، سنتحدث عن هذين **الارتباطين** بالنسبة لعلاقتهما بثلاثة أنواع من إعلان الكلمة؛ أولاً، "إعلان الكلمة" **المتوقع**، أي كلمات تسبق الأحداث التي تفسرها. ثانياً، "إعلان الكلمة" **المتزامن**، أو كلمات تُعطى تقريباً في الوقت ذاته مع الأحداث التي تفسرها. وثالثاً، "إعلان الكلمة" **الرجعي**، أي كلمات تأتي بعد الأحداث التي تفسرها. تعطينا الأسفار المقدسة، في المقام الأول، العديد من الأمثلة عن فترات سَبَقت فيها الكلمات الإلهية الأعمال الإلهية.

شرحت **كلمة** الله، في هذه الظروف، أو فسرت **عملاً** إلهياً قبل حدوثه. وغالباً ما نتحدث عن هذا النوع من إعلان الكلمة **كالنبوة**.

يتحدث إعلان **كلمة الله المتوقع**، في بعض الأحيان، عن أحداث ستحدث قريباً، وغالباً لأشخاص سيشهدوا حدثاً بشكل مباشر أو غير مباشر.

على سبيل المثال، في **خروج (3: 7–8) وقبل** ذهاب موسى إلى مصر ليحرّر شعب إسرائيل، أخبره الله ماذا سيحدث:
«فَقَالَ الرَّبُّ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ. إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً».

توقعت كلمات الله لموسى ما كان الله على وشك فعله في مصر. فقد كانت كلماته المتوقعة، متنبئة بمعنى العمل المستقبلي لله. وبعد سماعه لتلك الكلمات، كان على موسى أن يعدّ نفسه، ليُظهِر عمله في مصر بطريقة خاصة. كان عليه أن يكون كأداة الله لتحرير إسرائيل. لم تكن جهوده الوشيكة الحدوث في مصر، مجرد حدث بشري؛ وكان عليه ألاّ يستخف بخدمته ويقلل من شأنها الحقيقي– أي أن شعب إسرائيل سيختبر بركات أرض الموعد من خلال عمل عظيم لله.

تكلم "**إعلان كلمة**" **الله المتوقع**، في أوقات أخرى، عن أحداث في المستقبل البعيد، بعيد لدرجة أن الذين سمعوا كلامه في البداية، لن يختبروا ذلك الحدث. وقد جاء "إعلان الكلمة"، في تلك الحالات، قبل وقت طويل من "إعلان العمل".

على سبيل المثال، تحدث النبي إشعياء عن مجيء المسيّا العظيم بهذه الطريقة في **إشعياء (9: 6–7):**
«**لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ**».
تحدث إشعياء هنا عن ابن مَلَكي سيملك على شعب الله ويمد ملكه دون نهاية.

لقد تحدث عن يسوع، أي المسّيا. لكنه نطق هذه الكلمات 700 سنة على الأقل قبل المسيح. ولا شك أنها أعطت الأمل لشعب الله في زمن إشعياء، لكن الشعب الذي سمع "إعلان الكلمة" هذا أولاً، لم يرى أبداً العمل الإلهي الذي أشار إليه.

وهكذا، نرى وبطرق مختلفة أن **إعلان كلمة الله المتوقع** أُعطي ليهب شعبه بصيرة في معنى الأحداث قبل حصولها. ونجد هذا النوع من الإعلان في كل الأسفار المقدسة.

في المقام الثاني، مهمٌ أن ندرك أيضاً أن الله يتكلم أحياناً في الأسفار المقدسة **بتزامن** مع الحدث.

وبالطبع، نادراً ما تحدث كلمات الله **وأعماله** في الأسفار المقدسة، تماماً في نفس اللحظة. لكن غالباً ما يتكلم الله قبل حدوث أمر بقليل بحيث يمكن اعتبار كلامه **متزامناً** مع الحدث. فهو كثيراً ما أعطى "إعلان كلمته" بينما كان يعمل.

اصغ، مثلاً، إلى أعمال الله وكلماته في **خروج (19: 18-21)**:
«وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ. وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدّاً. فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَاداً جِدّاً وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُه ... فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى انْحَدِرْ حَذِّرِ الشَّعْبَ لِئَلاَّ يَقْتَحِمُوا إِلَى الرَّبِّ لِيَنْظُرُوا فَيَسْقُطَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ».

كان عمل الله العظيم، في هذه الفقرة، إظهارٌ لقوته في النار، الدخان، والارتجاف الشديد على قمة جبل سيناء. فبينما كان الله يقوم بهذا العمل العظيم، أعطى

"إعلان الكلمة" الذي فسّر معنى ما كان يقوم به عن طريق إنذار الشعب بعدم الاقتراب من الجبل.

وهكذا نرى، أن الله غالباً ما أعطى في الأسفار المقدسة، "**إعلان كلمتة**" **في نفس الوقت** الذي عَمِلَ فيه بحيث يمكن فهم عمله من قِبَل الذين شهدوه.

في المقام الثالث، مهمٌ أن نتنبه أيضاً إلى حقيقة أن "إعلان كلمة" الله هو غالباً **رجعي**، مفسراً معنى الأحداث بعد حدوثها.

قام الله بعمل معين، في تلك الحالات، ثم تكلم عنه مع الأشخاص الذين عاشوا بعد أعماله. في الواقع، وبصورة عامة، هذه هي الطريقة الأكثر شيوعاً التي يأتينا فيها "إعلان الكلمة" الإلهية في الأسفار المقدسة.
أحياناً، تكلم الله، تقريباً بعد حدوث الحدث مباشرة. وغالباً ما أعلن الله عن نفسه، في هذه الأزمنة، إلى الشعب الذي شهد أعماله بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

اصغ على سبيل المثال، إلى **خروج (20: 2–3)** حيث فسّر الله معنى إنقاذ إسرائيل من مصر مباشرة بعد حدوثه. ونقرأ الكلمات التالية هناك:
«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي».

فسر الله لبني إسرائيل بأن تجربتهم بالخروج من مصر لم تكن حدثاً عادياً. بل كانت إنقاذه الشخصي والمباشر. وأكثر من ذلك، فسّر "إعلان الكلمة" هذا أيضاً، إحدى مضامين عمل الله الخلاصي. فلأن الله أنقذهم، كان على بني إسرائيل ألاّ يعبدوا آلهة أخرى.

إن متطلب الولاء لله هو **كلمة رجعية**، تفسر معنى الإنقاذ العظيم لشعب إسرائيل، لشعب رأى في الواقع، ذلك التحرير.
ومع ذلك، جاء إعلان الكلمة الرجعي البعيد، في أوقات أخرى، إلى شعب الله بعد وقت طويل من حدوث "إعلان العمل". حيث أُعطي لشعبٍ لم يكن موجوداً في الأزمنة التي وقعت فيها الأحداث.

نقرأ مثلاً، هذا الوصف عن خلق البشر في **تكوين (1: 27)**:
«فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ».
إن الأشخاص الأصليين الذين استلموا هذه الكلمة الرجعية، كانوا شعب إسرائيل الذين تبعوا موسى بعد الخروج. وعاشوا آلاف السنين بعد خلق آدم وحواء. ومع ذلك، زودهم الله "بإعلان الكلمة" هذا ليخبرهم عن دور البشرية الأصلي في الخليقة.

بطرق متنوعة إذن، غالباً ما كانت **كلمة** الله تتبع أعماله وتمنح فهماً لشعبه بعد حصول الأحداث. ويظهر هذا النوع من إعلان الكلمة في كل الأسفار المقدسة.

بعد أن رأينا أن علم اللاهوت الكتابي يشدّد على الطريقة التي يتواصل بها **التاريخ والإعلان** في الأسفار المقدسة، نحن بحاجة للتوجّه إلى مسألة ثانية: **معالم** التاريخ والإعلان في الكتاب المقدس. حيث يذكر الكتاب المقدس مئات الآلاف من الأحداث على مدى آلاف السنين. وإحدى مهام علم اللاهوت الكتابي هي إظهار الأنماط والمعالم بين تلك الأحداث المتعددة.

حتى نستكشف الطرق التي فهم بها اللاهوتيون **معالم** التاريخ والإعلان في الأسفار المقدسة، سنتطرق إلى ثلاث مسائل: أولاً، **الهدف** من إعلان الله في تاريخ الأسفار المقدسة؛ ثانياً، **ارتفاع وانخفاض** الإعلان في الأسفار المقدسة؛ وثالثاً، التطور **العضوي** للإعلان في الأسفار المقدسة. فلننظر أولاً إلى **هدف** التاريخ في الكتاب المقدس.

مما لا شك فيه، عندما نقرأ مقاطع من الأسفار المقدسة، أن الله وجّه التاريخ نحو عدة أهداف فورية إلى حد ما. ففي أيام نوح، عمل على صنع بداية جديدة للعالم. وكان هدفه من إعلان ذاته لإبراهيم، أن يدعو لنفسه شعباً خاصاً. بينما كان هدفه من تحرير إسرائيل العهد القديم من مصر، أن يوطّد شعبه الخاص في العهد القديم، كأمة في أرض الموعد. حيث أن هدفه من اختيار داود وأولاده كسلالة إسرائيل الباقية، هو أن يأتي بشعبه إلى المجد المَلَكي. وكان الهدف من حياة يسوع موته وقيامته، ضمان الخلاص الأبدي لشعب الله.

كان لله في كل مرحلة من التاريخ الكتابي مقاصد و**أهداف** محددة، قادت إعلانَي عمله وكلمته. وقد صرف اللاهوتيون الكتابيون معظم وقتهم في تخطيط هذه الأهداف المختلفة.

لكن في الوقت ذاته، أشار بولس في **رومية (11: 36)** إلى الهدف النهائي من التاريخ.

«لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ».

كما أشار بولس هنا، كل الأشياء هي من الله في البداية. وكل الأشياء تستمر بوجودها الآن بقوة الله المُساندة. وكل الأشياء هي "له"، أي أنها، لمجد الله وتسبيحه. باختصار، رتّب الله تاريخ خليقته بحيث أنه سيعطيه في النهاية مجداً بلا حدود.

وصف اللاهوتيون الكتابيون المختلفون هذا القصد الإلهي الشامل بطرق مختلفة. على سبيل المثال، تحدث بعضهم نوعاً ما بصورة عامة عن الأمور الأخيرة، أو الأيام الأخيرة، كتركيز الأسفار المقدسة. بينما جادل آخرون بطرق مختلفة بأن الكتاب المقدس متمركز حول المسيح، أي يتمحور على المسيح. فلهذه الآراء وأخرى غيرها الكثير لتقدمه، لكننا سنتناول في هذا الدرس هدف كل التاريخ، كتأسيس ملكوت الله على الأرض. ببساطة، سنتحدث عن التاريخ الكتابي كالعملية

التي يتمجد الله من خلالها في النهاية، أمام كل مخلوق بامتداد ملكوته إلى أقصى الأرض.

نعرف جميعاً أن يسوع علّمنا أن نصلي في **متى (6: 10)** من أجل هذه الغاية حيث قال هذه الكلمات:
«لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ».

إن **الهدف** الإلهي لكل تاريخ العالم، هو امتداد مُلك الله السماوي الكامل إلى كل زاوية على الأرض. وعندما تتم مشيئة الله بشكل كامل على الأرض، كما هي في السماء، عندها سيجثو كل مخلوق أمام الله ويكرمه كالملك الإلهي، أي الخالق الأسمى للكل. وفي ذلك الوقت، سيتحقق هدف التاريخ النهائي.
ورغم أن كل حدث في التاريخ يسير نحو هذا الهدف العظيم، تركّز الأسفار المقدسة ذاتها بصورة خاصة على أحداث، هي في محور قصد الله النهائي. فهم يتتبعون كيف أن بعض الأحداث التاريخية حاسمة لبلوغ هدف نشر ملكوت الله في العالم أجمع.

نعلم جميعاً المعالم الأساسية للقصة الكتابية. وتصف الفصول الافتتاحية للكتاب المقدس، الطريقة التي بدأ بها الله بتحويل عالم الفوضى إلى ملكوته، بترتيب الخليقة، ووضع صورته في جنة عدن، وأمره البشرية أن تمد جنة عدن إلى أقصى الأرض. لكن تصف الفصول الافتتاحية للأسفار المقدسة أيضاً، كيف أن البشرية

تمردت على هذه الإرسالية الإلهية، وجلبت الفساد والموت إلى العالم. ويخبرنا باقي العهد القديم، كيف أن الله اختار إسرائيل كشعبه الخاص، وأعطاه الإسارلية ليقود بقية البشرية إلى نشر ملكوت الله إلى أقصى الأرض. وكما يخبرنا العهد القديم، حقق الله الكثير من خلال إسرائيل، لكن إسرائيل أيضاً فشلت فشلاً ذريعاً. ورغم هذه الإخفاقات، لم يتخلَ الله عن هدفه العظيم. وكما يُظهِر العهد الجديد، أرسل الله ابنه الأزلي إلى العالم. ومن خلال موته، صحّح الله إخفاقات الماضي، وفدى لنفسه شعباً من كل شعوب الأرض. فمن خلال قيامة المسيح وصعوده، خدمة الروح القدس بواسطة جسده (أي الكنيسة) وبرجوعه المجيد، يتمم المسيح العمل الذي أُعطي أصلاً للبشر.

وكما نقرا في **رؤيا (11: 15)** يُهتف للمسيح بصفته الشخص الذي سيأتي بملكوت الله إلى الأرض كما هو في السماء.
«ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّابِعُ فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ».

ففي هذه المقاربة لعلم اللاهوت الكتابي، كلُ حدثٍ في التاريخ الكتابي هو جزء من المخطط الكبير. إن التنوع الواسع للأعمال الإلهية، عظيمة وصغيرة، عادية واستثنائية، الموجودة في كل الكتاب المقدس، تجد ذروتها في عمل المسيح، الذي سيجلب المجد النهائي لله من خلال تأسيس ملكوته في السماء الجديدة والأرض الجديدة.

رغم أن **هدف** التاريخ الكتابي هو تمجيد الله عن طريق تأسيس ملكوت العالم الواسع في المسيح، نحتاج أن نتطرق إلى بُعدٍ ثاني لمعالم التاريخ الكتابي: **ارتفاع وانخفاض** إعلانَي عمل الله وكلمته.

ربما ذهبت إلى الشاطئ وراقبت المد يأتي إلى الشاطئ. فليس صعباً أن تلاحظ، أنه عندما يتقدم مد المحيط إلى الأمام، فإنه لا يحدث بحركة واحدة ناعمة. إنه يحدث بتقدم، لكن حركة تقدم المد تحدث عندما يرتفع الموج ويهبط.

وبطريقة مماثلة، شدّد اللاهوت الكتابي الإنجيلي على أن الله حَرَّكَ التاريخ نحو هدف ملكوته المجيد بأمواج من إعلانَيِ العمل والكلمة. ورغم أن الله يسيطر على العالم بعنايته في كل الأوقات، توجد أوقات في التاريخ يعمل فيها الله ويتكلم بطريقة فعّالة أكثر من أوقات أخرى. وكنتيجة لذلك، يرتفع الإعلان في التاريخ الكتابي وينخفض، حتى عندما يتقدم نحو مصيره النهائي.

ولهذا السبب، يساعدنا أن نفكر بإعلانَي العمل والكلمة بطريقتين: هذه الأزمنة التي يمكن أن توصف بالنقاط المنخفضة في الإعلان؛ وتلك الأزمنة التي يمكن أن توصف بالنقاط العالية في الإعلان.
فمن جهة، هناك أزمنة، في كل الكتاب المقدس، يخف فيها إعلانا العمل والكلمة الإلهيان، أو ما نسميه النقاط المرتفعة في الإعلان.

اصغِ، على سبيل المثال، إلى الطريقة التي وصف فيها كاتب سفر صموئيل، الأيام الأولى من حياة صموئيل في **صموئيل الأول (3: 1)**:
«وَكَانَ الصَّبِيُّ صَمُوئِيلُ يَخْدِمُ الرَّبَّ أَمَامَ عَالِي. وَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ عَزِيزَةً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. لَمْ تَكُنْ رُؤْيَا كَثِيراً».

كان الإعلان نادراً في أيام طفولة صموئيل. وبسبب خطايا شعبه، ابتعد الله عنهم لفترة، عاملاً القليل نسبياً من أجلهم ونادراً ما كان يكلمهم.

ولعل المثل الأكثر فاعلية لنقطة منخفضة في التاريخ الكتابي، هي الفترة ما بين العهدين القديم والجديد، بين ملاخي ويوحنا المعمدان، عندما كانت أرض إسرائيل تحت حكم سلطات غريبة. حيث كانت إسرائيل، خلال فترة ما بين العهدين، تحت لعنة صارمة من الله، وهو لم يتحرك بصورة فعالة لصالح شعبه؛ ولم يقل لهم الشيء الكثير.

من جهة أخرى، ومثل تحطم أمواج المد المرتفع، كان هناك نقاط عالية أيضاً في التاريخ الكتابي، تدفق فيها إعلانا عمل وكلمة الله إلى الأمام بشكل فعال. حيث قام الله، في هذه الأوقات، بأمور مذهلة وأعلن الكثير لشعبه حتى أنه نقل ملكوته إلى درجات جديدة من التطور فعلاً.

على سبيل المثال، رغم أن الإعلان كان نادرٌ في سنوات صموئيل الأولى. بدأ الله، مع نمو صموئيل، بالعمل بصورة فعالة وبإعلان مشيئته لشعبه مرة أخرى. وخلال خدمة صموئيل، زاد الله إعلان عمله وكلمته حتى أن التاريخ انتقل إلى فترة ملكية إسرائيل، أي إلى أيام سلالة داود.

وبالطريقة ذاتها، تَبِعَ النقطة المنخفضة بين العهدين القديم والجديد أعظم إعلان لله في تاريخ العالم: يوحنا المعمدان والمجيء الأول للمسيح، وإعلان الكلمة العظيم الذي أعطانا إياه المسيح ورسله. وأوصلت أعمال الله العظيمة هذه التاريخ الكتابي إلى المرحلة التي نسميها اليوم بفترة العهد الجديد.

إن موجات الأعمال والكلمات الإلهية في التاريخ، مهمّة في علم اللاهوت الكتابي بصورة خاصة، لأنها كانت أوقات نَقَلَ الله فيها ملكوته إلى مراحل أو أزمنة جديدة. إن أحداثاً بارزةً مثل الطوفان، دعوة إبراهيم، خروج إسرائيل من مصر، تأسيس المُلكية، سبي إسرائيل ويهوذا، الرجوع من السبي، خدمة المسيح الأرضية، وحلول الروح القدس– كلها تشير إلى الأوقات التي نُقِل فيها ملكوت الله على الأرض إلى مراحل جديدة من التطور. وهكذا، ولهذا السبب، من الشائع أن نقسم التاريخ الكتابي، في علم اللاهوت الكتابي الإنجيلي، إلى عصور أو أزمنة متنوعة.

إن إدراكنا بأن إعلان الله **المرتفع والمنخفض** يقسم التاريخ الكتابي إلى فترات أو حقبات، يطرح سؤالاً خطيراً للغاية. كيف ترتبط مراحل التاريخ المختلفة هذه

ببعضها البعض؟ باختصار، أكّد علم اللاهوت الكتابي على الطبيعة **العضوية** للتاريخ في الأسفار المقدسة.

يعرف كل شخص مُلم بالمسيحية الإنجيلية المعاصرة، أن الكثير من المسيحيين اليوم يؤمنون أن عصور التاريخ الكتابي مفككة بشكل أساسي. إن الفترات الزمنية في الأسفار المقدسة، حسب هذا الرأي، مرتبطة مع بعضها البعض بشكل قليل، لا سيما فترتي العهد القديم والعهد الجديد. ورغم شعبية هذا الرأي اليوم، أوضح علم اللاهوت الكتابي أن تطورات التاريخ الكتابي كانت في الأصل موحدة.

ويُفيد مصطلح "عضوي" كاستعارة تشير إلى أن تاريخ الكتاب المقدس هو مثل كائن حي لا يمكن تقطيع أو تقسيم نموه تماماً إلى أجزاء منفصلة. وبحسب هذا الرأي، غالباً ما يتم مقارنة إيمان الكتاب المقدس ببذرة تُزرَع في المراحل الافتتاحية للتاريخ الكتابي، ثم تنمو ببطء خلال العهد القديم، وتصل إلى مرحلة النُضج في العهد الجديد. ويُنظَر إلى التغييرات التي حدثت بين فترة وأخرى كالنمو أو النضج. ويحصل هذا النمو بشكل غير متساوي بينما تنقل موجات إعلانَي العمل والكلمة، التاريخ الى أزمنة جديدة، بطريقة مشابهة لنمو النباتات والحيوانات في بعض الفترات، بسرعة أكبر من الفترات الأخرى. لكن، ليست فترات التاريخ الكتابي أجزاء منفصلة أو متميزة، لا علاقة لها ببعضها البعض. بدلاً من ذلك، إن المراحل المتعاقبة للإعلان هي ازدهار للمراحل السابقة للإعلان.

لهذا السبب، يعمل اللاهوتيون الكتابيون بجهد كبير ليروا بذور إعلان العهد الجديد في المراحل الأولى للكتاب المقدس، ثم يتتبعون كيف نمت تلك البذور، بينما أدى المزيد من إعلانَيِ العمل والكلمة إلى مراحل متعاقبة للنمو في ملكوت الله، وقاد إلى العهد الجديد.

ولكي نشرح ما نعنيه، دعونا نأخذ مثالاً بسيطاً من عدة تعاليم أساسية للعهد الجديد عن المسيح. وسنركّز على "إعلان كلمة" الله المتعلق بثلاث مجموعات من الأحداث في خدمة المسيح. حيث نتعلم من العهد الجديد، من بين أمور أخرى، أن الأقنوم الثاني في الثالوث تجسد وعاش كالكائن البشري الوحيد البار بصورة كاملة. ويعلّم العهد الجديد أن موت يسوع، قيامته وصعوده ضَمِنوا الفداء لشعبه بدفع ثمن خطاياهم، واهباً إياهم حياة جديدة، ومانحاً إياهم موهبة الروح القدس. كما ونتعلم أيضاً أنه عندما يعود يسوع، سيملك منتصراً على كل الخليقة، قاهراً أعدائه تماماً، ومانحاً الانتصار المجيد لشعبه في الخليقة الجديدة. إن أعمال الله وكلماته هذه، هي ميزات أساسية للإنجيل المسيحي.

وبقدر ما هو رائع أن نعرف ونؤمن بهذه الأمور عن يسوع، يمكن أن يتعزز فهمنا لما فعله الله في المسيح، عندما ندرك أن مواضيع العهد الجديد هذه، نمت في الواقع بشكل عضوي خلال الأسفار المقدسة. ولكي نُظهر صحة ذلك، سنلقي الضوء باختصار على بعض الطرق التي ازدهر بها إعلان العهد القديم أو نضج إلى ما أنجزه الله في المسيح.

إن ما أنجزه الله في المسيح بدأ في الواقع كبذرة صغيرة في الإصحاحات الاقتتاحية من سفر **التكوين**. ففي المقام الأول، أعطى الله البشرية في تكوين (1)، دوراً مميزاً في عالمه بما أنهم صورة الله. **وكصورة الله**، دُعينا لنكون الأداة البارة التي سينتشر بها فردوس الله أو ملكوته في العالم. وهذا هو أحد الأسباب التي يشدّد بها العهد الجديد على **حياة المسيح المتجسدة والبارة**. إنه **آدم الأخير**، أي الشخص الذي تمّم الدور الذي أُعطي أصلاً للبشر بصورة كاملة. في المقام الثاني، يُعلمنا **سقوط** البشرية **في الخطية** في تكوين (2) أن الخطية أدت إلى حاجة البشر وبقية الخليقة للفداء من دينونة الله. وكانت هذه الحاجة بذرة تعليم العهد الجديد عن **موت** المسيح، **قيامته** وصعوده. فقد مات وصعد إلى السماء ليفدي أولئك الذين آمنوا به، من لعنة الخطية. ونرى من خلال كفارة المسيح الكاملة، قيامته الجبارة، وصعوده المنتصر فداء صورة الله وبقية الخليقة. وفي المقام الثالث، أشار الله بعد **السقوط في الخطية** مباشرةً، أن بقية البشرية البارة **ستنتصر على الشر** في يوم من الأيام.

نقرأ في **تكوين (3: 15)** هذه الكلمات التي نطق بها الله للحية:
«وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ».
أعلن الله هنا أن الجنس البشري سينقسم إلى نسل الحية أو الشيطان، ونسل حواء– أي أولئك الذين استمروا في اتباع خداع الحية، وأولئك الذين أخذوا المسار الذي

أُعطي للبشرية في الأصل. وكما تشير هذه الآية، سيكون هذان الانقسامان للبشرية في نزاع، لكن الله وعد أن نسل المرأة في النهاية سيسحق رأس الحية، معلناً النصرة عليها وعلى نسلها.

ولهذا السبب تكلم الرسول بولس في **رومية (16: 20)** عن عودة المسيح في مجده بهذه الطريقة:
«وَإِلهُ السَّلاَمِ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعاً».
كانت عودة المسيح المنتصرة متوقَّعة في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين.

ولهذا نرى بعد ذلك، أن تعليم العهد الجديد عن **التجسد** و**الحياة؛ الموت، القيامة** والصعود؛ **ورجوع** المسيح لم يكن أفكاراً جديدة تماماً. فقد كانوا كبذور مزروعة في وقت مبكر جداً في تاريخ الكتاب المقدس.

بالإضافة إلى النظر إلى الطرق التي يعود بها تعليم العهد الجديد إلى الإصحاحات الأولى في سفر التكوين، يجب أن نتنبه إلى وجود عدة مراحل للنمو بين الإصحاحات الافتتاحية في سفر التكوين والعهد الجديد. لكن من أجل أهدافنا في هذا الدرس، سوف نتطرق ببساطة إلى مرحلة واحدة في تاريخ العهد القديم، أي الأوقات التي تعامل فيها الله مع شعب **إسرائيل** بصورة إيجابية.

في المقام الأول، سبق ورأينا أن حياة المسيح المتجسدة والبارة تممت الدور الذي أُعطي **للبشرية في سفر التكوين** في الأصل. لكن من وقت إبراهيم وحتى نهاية العهد القديم، نمت هذه الفكرة في اتجاه خاص. بالمعنى العام، دعا الله **شعب إسرائيل في** العهد القديم ليكونوا نسل المرأة الأمين، ولينشروا ملكوت الله إلى أقصى الأرض. وبطريقة خاصة، ومع قيام مملكة إسرائيل، أعلن الله أن ابناً باراً لداود سيقود الإسرائيليين الأمناء إلى الأمام في مصير مملكتهم.

ولهذا السبب، نجد أن العهد الجديد لا يقول ببساطة، أن يسوع كان رجلاً باراً. وفي ضوء الطرق التي نما فيها دور البشرية خلال تعاملات الله مع إسرائيل في العهد القديم، وُلِدَ يسوع كإسرائيلٍي بار. وأكثر من ذلك، كان يسوع ملك إسرائيل البار، الوريث الشرعي لعرش داود. ولا يُتَمّم تصوير العهد الجديد **لتجسد وحياة** المسيح المهمة الأصلية التي أُعطيت إلى آدم فقط، بل يُتَمّم التطور الأبعد لتلك المهمة في العهد القديم، من حيث علاقتها بشعب إسرائيل وملكهم.

في المقام الثاني، رأينا أن يسوع يُتمَّم الحاجة للفداء، والتي نتجت عن **سقوط** آدم وحواء **في الخطية.** لكن، عندما نتأمل في الطريقة التي تطور فيها موضوع الفداء هذا في العهد القديم، يمكننا فهم عمل المسيح بصورة أكمل. فكما نعرف، أسس الله نظام **الذبائح الحيوانية** والعبادة، ليتعامل مع حقيقة الخطية في العالم، أولاً في خيمة الاجتماع، ولاحقاً في الهيكل في أورشليم. وقد تم تنظيم هذه الشعائر بدقة من خلال أوامر كهنوتية مُحكَمة. لكن بقدر ما كانت هذه الأحكام رائعة، لا يمكنها أن

توفّر سوى راحة وقتية من آثار الخطية. فهي لم تَفدِ أحداً من لعنة دينونة الله بصورة دائمة.

ويشرح هذا التطور في تاريخ العهد القديم، لماذا يشدّد العهد الجديد على أمور محددة حول الفداء الذي أتى من خلال **موت** المسيح، **قيامته** وصعوده. فعندما مات يسوع على الصليب، كان موته بمثابة الذبيحة الكاملة عن شعبه، وإتماماً لكل **ذبائح** العهد القديم. وقد تبرهن أنه الذبيحة الكاملة والنهائية من خلال قيامته. وحتى في يومنا هذا، وكالرب الصاعد، إنه يتوسّط نيابة عن شعبه، كرئيس كهنتنا العظيم. ويستعين، في هذا الدور، باستمرار باستحقاقات ذبيحته، بينما يخدم في هيكل الله السماوي. وهكذا، بينما يصل عمل المسيح الفدائي إلى **السقوط في الخطية** في الإصحاحات الافتتاحية من سفر التكوين، فقد انبثق أيضاً من المراحل الوسيطة من عبادة إسرائيل في خيمة الاجتماع والهيكل.

في المقام الثالث، انبثق أيضاً تعليم العهد الجديد حول **الانتصار** النهائي المجيد عند **عودة** المسيح، من معاملات الله مع إسرائيل. فعندما دعا الله شعب إسرائيل ليكونوا شعبه المميز البار، دعاهم ليعيشوا **بانتصار** كنسل المرأة. وقاومت الأمم الوثنية التي تبعت طرق الشيطان، وأزعجت إسرائيل، من كل ناحية في كل العهد القديم. لكن الله وعد إسرائيل العهد القديم بالانتصار النهائي، إذا قامت بنشر ملكوت الله بأمانة. ولهذا السبب، يجب ألا نستغرب إذا وصف العهد الجديد الانتصار النهائي في المسيح، في السماء الجديدة والأرض الجديدة، بقدوم "أورشليم الجديدة". وبينما يتم الإعلان عن الإنجيل، ويخضع كل من اليهود والأمميين

ليسوع المسيح، الذي يبني كنيسته في جسد واحد، ويقودهم إلى حالة الانتصار الأبدية النهائية المجيدة الموعودة.

يمكننا أن نرى من هذا المثل، كيف أن علم اللاهوت الكتابي ينظر إلى تاريخ الأسفار المقدسة كتاريخ عضوي موحد ونامي. وتبني كل مرحلة من التاريخ على إعلان المراحل السابقة وتتوقع الاتمام النهائي لملكوت الله في المسيح. وبينما نتابع هذه السلسلة، سنرى أن هذا الرأي العضوي لإعلانَي عمل وكلمة الله يظهر مرة تلو الأخرى في علم اللاهوت الكتابي.

لقد ألقينا نظرتنا الأولى في هذا الدرس على علم اللاهوت الكتابي. فقد نلنا **توجهاً** أساسياً نحو حقل الدراسة هذا، مشيرين إلى الطريقة التي يقارب بها الأسفار المقدسة، بتحليل تاريخي لأعمال الله. كما ورأينا أيضاً كيف **تطور** فرع الدراسة الرسمي لعلم اللاهوت الكتابي عبر القرون. واستكشفنا أخيراً، تركيزه الرئيسي على **التاريخ والإعلان**.

يمثل علم اللاهوت الكتابي إحدى الطرق الأكثر تأثيراً، التي بنى عليها الإنجيليون لاهوتهم في القرون الأخيرة. وبينما نستمر في دراسة هذا الاقتراب في الأسفار المقدسة، سنكتشف أنه يكمل الاقترابات الأكثر تقليدية في اللاهوت، وأنه يجذب الانتباه إلى العديد من البصائر التي أُغفلت في الماضي كثيراً. وسيساعدنا علم

اللاهوت الكتابي المصاغ بصورة جيدة، على استكشاف كلمة الله بشكل أعمق، وبناء لاهوت حقيقي بالنسبة للكتاب المقدس ويعلّم الكنيسة.